الفاتحه

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(أما بعد) فمعلوم لكل انسان أن التاريخ هو نبراس الأيام ومشكات الزمان وامين الحوادث وراائد الحقائق ونقاد الوقائع وينبوع الحكمة وملاك التربية وقوام مكارم الأخلاق واستاذ الخليقة فى الآفاق لولاه ماعرف الانسان ولا وجدت صلة بين البلدان لاتساع الحضارة والعمران ولا بعد صيت الفضيلة ولا نهض ذكر لأمة ولا كانت رغبة فى عدل ولا عدول عن بغى ورهبة من ظلم ولا اتعاظ بعبرة ولولاه ما كان يعهد موطن للضعف . ودار للخسف ومنزل للعسف فهو الذى عمر البلاد وانار عقول العباد واقام المائد واصلح الفاسد وقوى الساعد الكل مستفيد منه آخذ عنه محتاج اليه معول فى تمحيص الحقائق عليه لا فرق فى ذلك بين كبير وصغير وعالم وجاهل وحاكم وامير ومحكوم حقير

ولذلك كانت عند المصريين القدماء محكمة التاريخ هى المحكمة العليا فى ظهور الفضائل واستئصال شأفة الرذائل ففيها تتلى تراجم حياة الأخيار واهل الفضل الأبرار والقصاص من اهل الفساد الأشرار مع مراعاة الشرف والذمة والصدق فى اعطاء الحقوق الى اربابها

ولا عبرة ببعض التواريخ التى كطوت آثاراواغفلت اخباراًواعرضت عن ذكرفتى قاد شعباً وبطل اجتاز صعباً وعالم انقذ ارواحاً وأديب أحيا أشباحاً وشاعر أنار عقولا ومهندس حول القحول حقولا وطبيب خفف عن النفوس الآلام وصيدلى ساعد على مطاردة الأسقام و و... الخ واشتغلت لاغراض فاسدة بذكر رجال هم فى الحقيقة طاعون جارف ودأ عضال وجرثومة فساد البلاد وميكروب أمراض العباد

وليس الغرض هنا أن أستطيل على قيمة التاريخ وفوائده ولا أن أبسط القول

فى بيان المقبول منه أو المردود إذ لا يتسع لى المجال فى ايراد ما يمكن أن يذكر عنه بالخير أو الشر والنفع أو الضر غير إنه لما كان البرهان المحسوس أقوى بيان لهذا العمل الذى يقترن بامثال الأفعال للسير على طريق الهدى بنصائح السابقين الذين كابدوا وجاهدوا وناضلوا وجادلوا لبث روح الانسانية وطمس آثار الوحشية فقد التزمت على قدر الامكان ومساعدة الزمان أن اكتب وأنشر هذه المذكرة المفكرة بأمل أن تنال القبول عند أهل العقول الذين فى قدرتهم ان يستخرجوا بواسطة المعلوم كل مجهول بفطنتهم الوقادة وافكارهم السديدة الراجحة الصائبة فى مثل هذا العمل الذى يقوى فى الانسان الأمل ويجعله غير فالغ من زمنه بمصة الوشل التى تجلب الخجل لمن لا يقوم بفروضه وواجباته نحو وطنه واخوانه على قدر إمكانه

أجل . لأننا اذا نظرنا الى عالم الحيوان لوجدناه من أصغر ذرة فيه الى أكبر جسم حساس متحرك بالارادة لاغنى لواحد فيه عما يقيم الرمق ويستبقى الحياة ونجد ان لكل فرد منه سعياً مخصوصاً فى طريق خاص لتحصيل ذلك المقوم مع وجود جملة طرق للانسان يكتسب بها تكاد تكون اعتيادية أو بمقتضى أصل الخلقة اذ العادة طبيعة خاصة كما هو معلوم

هذا ولا أجد أصلح للناس فى تعديل طرق معاشهم وانتظامها إلا ان يجتهد أهل الدين فى القيام بواجباتهم فيبينوا للناس الخير من الشر والضار من النافع والحلال من الحرام والخبيث من الطيب ويحثوهم على العمل بالأوامر ويرهبوهم من المنهى عنه بالزواجر فان الناس لا يعملون إلا من طريق الترغيب والترهيب ثم يقفو إلى كون الاداريون أولئك الناصحين فيكافئوا المستقيم والعامل الأمين ويعاقبوا المحتال والمداهن والدجال والمائن فلا يبخسوا عاملا عملا ولا يتركوا المسىء جرما ومتى اتبع الاداريون والعلماء الدينيون هذه الطريقة ووضعوها نصب أعينهم صلح الحال وانقطعت حبال أهل الضلال والتدليس والغش والأفك والبهتان. وسجل ذلك على صفحات الأيام ليعتبر بها أهل الموعظة من الأنام إذ النفوس خلقت خالية من كل رذيلة قابلة لانطباع الفضيلة بالتربية الحسنة ومكارم الأخلاق وان الكمال لها أقرب والفضل بها ألصق كما دل على ذلك البرهان وأحوال الزمان والمكان فى كل عصر

وآن حيث أودع الله فى الانسان ميلا الى استطلاع كل ما يقع تحت بصره وانعطافا الى كشف حقيقته وهذا الميل والانعطاف هو رائد التعليم ودليل التربيـة ومحاز العمل ومناط الاستفادة .

فلو ان أهل الذكر والعلم قاموا بما وجب عليهم من الوعظ والتذكير والانذار والتبشير وأثاروا الأفكار وأشعروا النفوس بما يجب عليها عمله فى هـذه الدار من القيام بالواجب والغرض والنظر فى ملكوت السموات والارض . وبذل الهمة فى نفع الأمة ورفع الغمة ولفت الانظار الى سير الأخيار وما خلفوا من محاسن الآثار ليحتذوا حذوهم ويقتفوا سننهم لا ستيقظت النفوس من سباتها ونشطت الهمم من عقالها ولقامت الأمة حقيقة بشكر آلهها فليس الشكر فى الواقع الا ان يصرف الانسان جميع النعم والمواهب التى أنعم الله عليه بها فى مواضعها التى خلقت لأجلها

ولقد اردت انا ان التى بدلوى فى الدلاء وأسلك فى هذا الصنيع طريق السلف القدماء الذين شرحوا لنا أعمالهم واحوالهم واودعوها كتبهم فاستفدنا منها واقتدينا بهم فيها . وغرضي من هذا العمل الذى أرجو ان يعينى الله تعالى على اتمامه ان اشرح حالى لاخوانى ابناء وطنى واصور لهم ما كنت عليه فى حياتي وما تقلب على من مختلف الأدوار وما عرض لى من نفع وضر وما ذقته من حلو ومر مثبتا فى هذا الكتاب بعض مقالات ادبية علمية مفيدة وحوادث عصرية عديدة دعت المناسبات لاثباتها كان قد دبجها هذا اليراع العاجز ونشرت فى كثير من الجرائد والمجلات المصرية داعياً فيها الى التمسك بالعواطف الوطنية وتلبية نداء الواجبات الأخوية عاملا فيه على تقويض بنيان اعمال الحيل والشعوذة والخديعة وتأييد الجد والصدق الذى يدعو اليه العقل ولا تأباه الشريعة بحجج قاطعة وبراهين ساطعة وأدلة محسوسة وشواهد ملموسة . لعلى اكون قد قمت ببعض الواجب على نحو أمتى ووطنى راجياً ان لا يحرم مطالعة من عظة فيه تنفعه وعبرة الى سلوك طريق الخير تدفعه معترفاً بقلة المتاع وقصور الباع وقصر الاطلاع ولكنه فيما ارى جهد المستطاع ومع ذلك فلو ان كل امرىء جاد بما لديه وعرض على امته ما استفاده فى حياته واهتدى فكره اليه لخرج امام الله وامام الوطن من الواجب عليه ولا غرو فالسخى كما قيل جوده بما

ملك وخلوص النية منجح صاحبه أنى سلك

والله تعالى اسأل و بنبيه العظيم اتوسل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به النفع العميم و يثيبنى عليه و يحقق أملى الذى قصدت (ان اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

استدراك

وقعت بعض غلطات مطبعية فنرجو من القارىء اللبيب معرفتها . والعصمة لله وحده ؟

obeikandl.com